



جامعة سامرا



جامعة تشرين

دراسات في اللغة العربيّة وآدابها

٤

ر.د.م.د: 9023-2008

ملاح المقاومة في شعر أبي القاسم الشابي

الدكتورة رقية رستم پور ملكي، امير فرهنگ نيا

قراءة في قصيدة لعازر ١٩٦٢ في ضوء نظرية تحليل الخطاب

علي زائري وند

مشكلة الاغتراب الاجتماعي في المكان الضد قراءة في رواية "الحيّ اللاتيني"

الدكتور حامد صدقي، عبدالله حسيني

المقارنة بين الشرحين الشهيرين للألفية شرح ابن عقيل و شرح السيوطي

اله صفيان، الدكتور محمدرضا ابن الرسول

مراثي مُنَمَّم بن نُويْرة لأخيه "دراسة في التاريخ والشعر"

الدكتور عدنان محمد احمد

أثر قصّة سليمان(ع) و ملكة سبأ في غزليّة ٢١٦ ديوان حافظ الشيرازي

الدكتور علي نظري

مقدمة في الوقف والابتداء مصطلحاته وعلاقته بالنحو

الدكتور يونس علي يونس

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعتي:

تشرين - سورية

سمنان - إيران

السنة الأولى، العدد الرابع، شتاء ٢٠١١/١٣٨٩

مقارنة بين الشرحين الشهيرين للألفية شرح ابن عقيل وشرح السيوطي

إلهه صفيان*

الدكتور سيد محمدرضا ابن الرسول**

الملخص

في هذا المقال بعد بيان موجز من حياة وآثار النحويين الثلاث - محمد ابن مالك مصنف الألفية، وهاء الدين عبدالله بن عقيل، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي شارحي الألفية - قد أخذ المؤلفان بمقارنة شرحي ابن عقيل والسيوطي في شتى المجالات ذاكرين أمثلة من الشرحين كي يتضح للمخاطب مواضع الاختلاف والاشتراك فيهما.

ومن أهم الأهداف التي يرمي إليها البحث هو التعرف على منهج كل من الشارحين في شرحيهما على الألفية، وموقفهما من آراء المصنف والنحويين الآخرين.

كلمات مفتاحية: المقارنة، ألفية ابن مالك، الشرح، ابن عقيل، السيوطي.

المقدمة

لا ينكر أحد مدى اشتهار الألفية بين أهل العلم والفضل، خاصةً دارسي النحو العربي؛ فهي منظومة تعليمية نظمها جمال الدين أبو عبدالله محمد بن مالك الجبائي من نخبة المدرسة الأندلسية في القرن السابع للهجرة، وقد عُني بها شراح كثيرون، ومن أشهر هذه الشروح شرح ابن عقيل (هـاء الدين عبدالله بن عبدالرحمن) في أواخر القرن السابع وأواسط القرن الثامن للهجرة، وشرح السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر) المسمى بالبهجة المرضية في القرن التاسع للهجرة وكان صاحباها من مدرسة مصر والشام النحوية.

لا أحد ينكر القيمة السنية للألفية، كما نقرأ في تاريخ آداب اللغة العربية «وطبعت الألفية نفسها مراراً وحدها ومع شروحها، ومن شروحها نسخ خطية في معظم مكاتب أروبا»^١. وقد شرحها وطبعها دوساسي المستشرق الفرنسي باللغة الفرنسية^٢.

* الطالبة الدكتوراه فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان.

** أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة أصفهان.

تاريخ الوصول: ٨٩/٨/٣٠ تاريخ القبول: ٨٩/١١/١٠

١ - جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص ٤٣١.

٢ - علي أكبر دهخدا، لغت نامه، ٣٤٧: ٢.

إن شرح ابن عقيل على الألفية احتلب اهتمام النحاة المدرسين والطلاب بدراسته - خاصة في الحوزات العلمية الإيرانية -^١ وكتابة الحواشي والتعليقات الكثيرة عليه، ومن أهم حواشيه هي حاشية ابن الميث باسم إرشاد النبيل إلى ألفية ابن مالك وشرحها لابن عقيل، وحاشية عطية الأجهوري، والحاشيتان المعروفتان للخضري والسجاعي^٢، ويقول السيوطي في بغية الوعاة: «وقد كتبت عليه حاشية سميتها بالسيف الصقيل»^٣.

واعترف كثير من المؤلفين بقيمة سامية لهذا الشرح ومنهم محمد المختار الذي يقول: «وليس من الغريب أن ينال هذا الشرح حظوة عند الناس، وإقبالاً من طرف المدرسين والدارسين، إذ كان مؤلفه يريد أن يحقق نوعاً من تصفية النحو وتقديره غير مشوب بالمباحث الجانبية، ولذلك رأينا أن نسِم صاحبه، بالنحوي التقليدي»^٤.

والبهجة المرضية - أو النهضة المرضية - هي إحدى مؤلفات السيوطي المشهورة على المستوى التعليمي، وتعدّ مما يدرس في النحو منذ تأليفه حتى الآن خاصة في الحوزات العلمية الإيرانية، وتضم البهجة المرضية شرحاً تاماً مختصراً للألفية ابن مالك فحظيت بحسن استقبال الأساتذة والمعلمين وصححوها وكتبوا عليها حواشي وشروحات فترى تصحيحها لسيد مصطفى حسيني دشتي، وشرح نقي منفرد عليها بالفارسية المسمى بالطريقة النقية، وحاشية ميرزا أبي طالب الأصفهاني، وفوائد حجتبه شرح كتاب سيوطي كتبه أبو معين حميد الدين حجت هاشمي خراساني، هذا وقد جمع محمد باقر الشريف شواهدا الشعرية مع شواهد عدة كتب أخرى في كتاب باسم جامع الشواهد.

فللشرح قيمة نامية اعترف بها الكثيرون ويقول أحد الشراح الإيرانيين ما تعريه: «طبع هذا الكتاب مراراً في الحوزات العلمية بمصر، والعراق، وإيران، وأفغانستان، وسوريا، ولبنان ويعدّ من الكتب التعليمية لطلاب الأدب وكتبت عليه حواشٍ متعددة بالعربية والفارسية، التي أدّقها وأكثرها علمياً حاشية ميرزا أبي طالب الأصفهاني التي طبعت في إيران»^٥.

وبما أن للألفية هذه المكانة المرموقة، وأن الشرحين المذكورين تمتعا بحسن استقبال أهل العلم، كان يبدو من الضروري أن نعرف هذين الشرحين اللذين حظيا بعناية أنظار مدرسي الحوزات والجامعات

١ - محمد نوري، مأخذ شناسی نظام تعلیم و تربیت روحانیت، ص ٨٣.

٢ - عبدالکرم محمد الأسعد، الوسيط في تاريخ النحو العربي، ص ٢٨١-٢٨٢.

٣ - جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٤٨: ٢.

٤ - محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص ٤٢٢.

٥ - محمد نوري، مأخذ شناسی نظام تعلیم و تربیت روحانیت، ص ٨٣.

٦ - علي اكبر بناء يزدي عبدالکرم، شرح وترجمه سيوطي در نحو، ص ٢.

خاصة في إيران ونعرف مدى تأثرهما بالمدارس النحوية؛ فلهذا قارنا في هذا المقال بين الأثرين لكبي يتبين لنا سبب اختيار هذين الكتّابين للتدريس في الجامعات وتظهر لنا ميزتهما الخاصة ووجوه الاشتراك والافتراق بين الشرحين مع اختلاف الشارحين في زمن تأثرهما بمدرسة نحوية واحدة.

وبنظرة خاطفة إلى الرسائل والبحوث التي تمت حتى الآن حول الألفية وشروحها، يبدو أنه لا يُوجد أيُّ بحثٍ حول المقارنة بين هذين الشرحين الشهيرين؛ هذا مع أننا نرى لكل من الشرحين -على حدة- شروحاتٍ وتعليقاتٍ كثيرةً طيلة القرون الماضية.

فمن خلال هذه الدراسة سنحجب عن أسئلةٍ من مثل: هل كانا متفقين مع ابن مالك في تبين أصول النحو؟ وما هي النقاط المشتركة والمفترقة بين الشرحين؟ وما هو منهج الشارحين في شرح الألفية؟ فآلقينا أولاً نظرةً عابرةً إلى الحياة وآثار النحويين الثلاث، ثم قارنا الشرحين من الزوايا المختلفة من كيفية البدء بالشرح إلى تسمية الأبواب، وعلاقة الشرحين بالنص، وكيفية البدء بشرح الأبيات وغير ذلك حتى وصلنا إلى كيفية ختم الشرحين. وأشرنا في المواضع إلى أمثلة من الشرحين لايضاح النكات المذكورة.

بما أننا قصدنا معرفة منهج البحث في الشرحين من الزوايا المختلفة عبر المقارنة بينهما، نذكر ميزتهما التي تفيد القارئ من بداية الشرحين حتى النهاية ذاكرين أمثلة من الشرحين.

١. منهجيتهما في ابتداء الشرح

يبدأ ابن عقيل شرحه من غير أن يُقدم له أو يشرح الأبيات المقدمة للألفية؛ كأن همه الوحيد تبين المسائل النحوية فيبدأ شرحه من البيت الثامن، ولم يجعل لشرحه اسماً؛ فعند البيت الثامن:

٨. كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقِمَّ وَأَسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمُ

يبدأ شرحه ويقول: "الكلام المصطلح عليه عند النحاة عبارة عن «اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها»^١.

في حين أن السيوطي جاء بمقدمة لشرحه مُشبيهاً بنفسه ومؤلفه، مدّعياً التفوق على الآخرين وجعل له اسماً تختلف الآراء في ضبطه، فقيل إنه سماه بالنهجة المرضية في حين اشتهر بالبهجة المرضية^٢، وأيضاً يشير إلى أن شرحه من الشروح المزجية، فيقول: «أحمدك اللهم على نعمك وآلائك وأصلي وأسلم

١ - بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١:

على محمد خاتم أنبيائك وعلى آله وأصحابه التابعين إلى يوم لقائك. أما بعد فهذا شرح لطيف مزجته بألفية ابن مالك مهذب المقاصد^١.

وبعد المقدمة يشرع شرحه مبتدئاً بمقدمة ابن مالك على الألفية وهي الأبيات السبعة الأولى ويشرحها كشرحه على الأبيات التالية لها.

٢. تسمية الأبواب وبيان وجه تسميتها

إن ترتيب الأبواب وأسمائها في الشرحين حسب وضع ابن مالك لها فلم يغيّرهما الشارحان، إلا أن السيوطي يكملها بعبارة «هذا باب» نحو «هذا باب (الابتداء)»، أو بقيود ونعوت توضّح المقصود نحو «هذا باب (الإخبار بالذي) وفروعه (والألف واللام) الموصولة»؛ ويشير عند أبواب تدرج تحت حكم واحد إلى موقعها من هذه السلسلة نحو «الثالث من المفاعيل (المفعول له)»، وقد ينبّه أيضاً على ما تضمنته الأبواب نحو «هذا باب (الفاعل) وفيه المفعول به».

والشارحان في بعض الأحيان يبيّنان أسماء أخرى للأبواب، ومنها بيان الأسماء الأخرى لباب «التمييز» قبل شرح الرقم ٣٥٦:

٣٥٦. اسْمٌ مَعْنَى مِنْ مُبِينٍ نَكْرَةً يُنْصَبُ تَمْيِيزًا بِمَا قَدْ فَسَّرَهُ

حيث يقول ابن عقيل: «تقدم من الفضلات المفعول به، والمفعول المطلق،... وبقي التمييز -وهو المذكور في هذا الباب- ويسمى مُفسِّراً، وتفسيراً، ومبيّناً، وتبييناً، ومميّزاً، وتمييزاً»^٢.

ويقول السيوطي: «وهو المميّز، والتبيين، والمُبيّن، والتفسير، والمفسّر بمعنى [واحد]»^٣.

وقد يُرجّح السيوطي تسمية على الأخرى نحو ما فعل في باب «النائب عن الفاعل» عند شرح البيت ٢٤٢ فرجّح تسمية «النائب عن الفاعل» وهي المشهورة على «مفعول ما لم يُسمَّ فاعله» وبَيّن وجه هذا الترجيح:

٢٤٢. يَنْوِبُ مَفْعُولٌ بِهِ عَنْ فَاعِلٍ فِيمَا لَهُ كَنِيلٌ خَيْرٌ نَائِلٍ

فيقول: «والتعبير به أحسن من التعبير بمفعول ما لم يُسمَّ فاعله، لشموله للمفعول وغيره، ولصدق الثاني على المنصوب في قولك «أعطي زيداً درهماً» وليس مراداً»^٤.

١ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٧؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ٥-٦.

٢ - بماء الدين عبدالله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ٦٠١.

٣ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٢٦٣؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ٣٥٥.

وفي باب «لا التي لنفي الجنس» ذيل شرحه للرقم ١٩٧ فعل خلاف هذا فرجح تسمية أخرى على التسمية المشهورة:

١٩٧. عَمَلَ إِنْ أَجْعَلَ لَّا فِي نَكَرَةٍ مَفْرَدَةً جَاءَتْكَ أَوْ مُكَرَّرَةً

فيقول: «والأولى التعبير بـ "لا المحمولة على إن" كما قال المصنف في نكته على مقدمة ابن الحاجب لأن لا المشبهة بليس قد تكون نافية للجنس وقد يُفَرَّقُ بين إرادة الجنس وغيره بالقرائن»^٢ ولم نر أمثال هذين في شرح ابن عقيل.

وقد يذكر الشارحان وجه تسمية الأبواب، منه بيان وجه تسمية المفعول المطلق قبل شرحهما للبيت ٢٨٦ من باب «المفعول المطلق»:

٢٨٦. الْمَصْدَرُ اسْمٌ مَا سِوَى الزَّمَانِ مِنْ مَدْلُولِي الْفِعْلِ كَأَمِنْ مِنْ أَمِنْ

فيقول ابن عقيل: «وسمي مفعولاً مطلقاً لصِدْقِ المفعول عليه غير مُقَيَّدٍ بحرف جر ونحوه، بخلاف غيره من المفعولات، فإنه لا يقع عليه اسم المفعول إلا مقيداً، كالمفعول فيه، والمفعول معه، والمفعول له»^٣.

والسيوطي يقول: «ويُسمَّى مطلقاً لأنه يقع عليه اسم المفعول من غير تقييد بحرف جر، ولهذه العلة قدّمه على المفعول به الزمخشري وابن الحاجب»^٤.

ووجدنا في شرح ابن عقيل موضعين وفي البهجة المرضية موضعاً واحداً بين الشارحان فيها سبب وضع الباب والموضع المشترك عندهما في البحث عن «الإخبار بالذي والألف واللام» قبل أن يشرحا الرقم ٧١٧ وخلاصة قولهما أن هذا الباب وُضِعَ لتدريب وتمرين الطلاب، طبعاً مع اختلاف في التعبير.

يوافق ترتيب الأبواب في الشرحين الترتيب الذي وضعه ابن مالك، ولكن السيوطي قد يقارن ترتيب الأبواب في الألفية بما في الكتب الأخرى، كقوله قبل شرح البيت ٤٤٠ من باب «أبنية المصادر»:

٤٤٠. فَعَلٌ قِيَاسُ مَصْدَرِ الْمُعْدَى مِنْ ذِي ثَلَاثَةٍ كَرَدَّ رَدًّا

حين يقول: «أخره وما بعده في الكافية إلى التصريف وهو الأنسب»^٥، هنا يرجح ترتيب الأبواب في الكافية على ترتيبها في الألفية ومع هذا لا يغيّر ترتيب البحوث في شرحه؛ ولم يشير ابن عقيل إلى مثل هذا في شرحه.

١- المصدر نفسه، ١: ٢٤٢.

٢- المصدران السابقان على الترتيب المذكور، ١٤٢: ١؛ ١٨٩ - ١٩٠.

٣- بماء الدين عبدالله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ٥٠٥.

٤- جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٢١٤؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ٢٩٣.

٣. علاقة الشرحين بالنص

شرح ابن عقيل من الشروح المباشرة التي انفصل فيها الشرح عن النص؛ فقسم الشارح الأبيات إلى قطعاتٍ وعدد الأبيات فيها تتراوح من بيت واحد -وهو الأكثر- حتى سبعة أبيات، ثم أتى بشرح كل قطعة في هامشها؛ والبهجة المرضية من الشروح المزجية التي مزج الشارح فيها الشرح بالنص ولم يوضع النص بين القوسين ما كان القارئ يستطيع أن يميزه من الشرح، والنصف الأول لكلا الشرحين أطول من النصف الثاني.

٤. كيفية البدء بشرح الأبيات

لكلا الشارحين ثلاثة طرق في البدء بشرح الأبيات؛ الأولى البدء بشرحها مباشرة، وتماذجها في الشرحين كثيرة، فيشرع الشارحان في شرح بعض الأبيات دون أن يقدموا له باستدراك، أو ينبّهوا على تغيير مسار البحث؛ كما فعل ابن عقيل عند شرح البيت ٣٠٣ في ابتداء البحث عن «المفعول فيه»:

٣٠٣. الظرفُ وقتٌ أو مكانٌ ضُمْنَا في باطِرَادٍ كَهْنَا امْكُتْ أَرْمُنَا

قائلاً: «عرّف المصنّفُ الظرفَ بأنه زمان أو مكان ضُمّن معنى في باطِرَادٍ، نحو: «امْكُتْ هُنَا أَرْمُنَا» فهنا ظرف مكان، وأَرْمُنَا ظرف زمان»^٢. ومن مثل قول السيوطي عند شرح الرقم ٨٤ من باب «اسم الإشارة»:

٨٤. وبأولى أَشْرَ لِحَمْعٍ مُطْلَقًا وَالْمَدُّ أَوَّلَى وَلَدَى الْبُعْدِ انْطَقَا

فيقول: «(وبأولى أشّر لجمع مطلقاً) سواء كان مذكراً أم مؤنثاً عاقلاً أم غيره والقصر فيه لغة تميم (والمدّ لغة الحجاز، وهو (أولى) من القصر»^٣.

والطريقة الثانية التنبيه على مواضع تغيير مسار البحث فينبّه الشارحان قبل شرحهما لبعض الأبيات على تغيير مسار البحث والظاهر أن عددها عند ابن عقيل أكثر منه عند السيوطي، وقد ينبّه ابن عقيل على ما تقدم في شرح الأبيات الماضية، وأمثلة ذلك في البهجة المرضية قليلة؛ فعند شرح البيت ٥٤٣ في البحث عن «عطف النسق»:

٥٤٣. فَاعْطِفْ بِوَائٍ لَاحِقًا أَوْ سَابِقًا فِي الْحُكْمِ أَوْ مُصَاحِبًا مُوَافِقًا

-
- ١ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٣٢٥؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ٤٤٢.
 - ٢ - بهاء الدين عبدالله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ٥٢٦.
 - ٣ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٦٥؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ٨٧.

يقول ابن عقيل: «لَمَّا ذَكَرَ حُرُوفَ الْعَطْفِ التَّسْعَةَ شَرَعَ فِي ذِكْرِ مَعَانِيهَا»^١.

وفي خاتمة باب «المفعول معه» بعد شرح البيت ٣١٥:

٣١٥. وَالنَّصْبُ إِنْ لَمْ يَجْزِ الْعَطْفُ يَجِبُ أَوْ اعْتَقِدَ إِضْمَارَ عَامِلٍ تُصَبُّ

وقبل شروع باب «الاستثناء» ينبيه السيوطي على ختام البحث عن المفاعيل والبدء ببحث جديد فيقول: «هذه خاتمة المفاعيل وعقبها المصنف بما هو مفعول في المعنى»^٢.

والطريقة الثالثة استدراك ما لم يذكره ابن مالك من تعريف أو وجه تسمية وغير ذلك قبل البدء بشرح الأبيات؛ كما فعل ابن عقيل هامش البيت ٩١٥ في باب «التصريف»:

٩١٥. حَرْفٌ وَشِبْهُهُ مِنَ الصَّرْفِ بَرِي وَمَا سِوَاهُمَا بِتَصْرِيفٍ حَرِي

حيث يقول: «التصريف عبارة عن علم يُبَحِّثُ فِيهِ عَنْ أَحْكَامِ بُنْيَةِ الْكَلِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَا لِحُرُوفِهَا مِنْ أَصَالَةٍ وَزِيَادَةٍ، وَصَحَّةٍ وَإِعْلَالٍ، وَشِبْهِ ذَلِكَ»^٣. والسيوطي قد يقدم على شرح البيت مقدمةً يبين فيها قاعدةً نحويةً لم يذكرها الناظم، والغالب فيه أنه يبدأ بـ «واعلم»؛ منه قوله عند البحث عن «الابتداء» قبل شرح البيت ١٢٤:

١٢٤. وَلَا يَكُونُ اسْمُ زَمَانٍ خَبَرًا عَنْ جُثَّةٍ وَإِنْ يُفِيدَ فَأَخْبَرًا

«واعلم أن اسم الزمان يكون خبراً عن الحدث نحو «القتال يوم الجمعة» لأن الأحداث متجددة، ففي الإخبار عنها به فائدة، وهي تخصيصها بزمان دون زمان»^٤.

٥. استدراكات الشارحين

مما يلتزمه الشارحان وذلك في كافة الأبواب استدراك ما لم يذكره ابن مالك من ذكر الأمثلة، وتكميل الشروط والوجوه، والقواعد، وغير ذلك. ومنهج كل واحد منهما فيه يشابه الآخر إلى حد ما.

٥-١- ذكر الأمثلة

- ١- بماء الدين عبدالله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ٢: ٢٠٨.
- ٢- جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٢٣٢؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ٣١٦.
- ٣- بماء الدين عبدالله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ٢: ٤٨٥.
- ٤- جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٩٨؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ١٢٧.

قد يمثل ابن مالك في أبيات الألفية عبارات أو كلمات من الشواهد الأربعة — أي القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر والأقوال المأثورة من العرب — واهتم الشارحان لاستدراكها فكملًا هذه الشواهد؛ وقد يأتي الناظم بأمثلة فيكملها الشارحان بذكرها في جمل تامة؛ هنا نذكر لكل هذين النوعين من استدراك أمثلة الناظم نموذجًا لأحد الشرحين دون الآخر خوفًا من الإطالة، فمن تكميل أمثلة الناظم من النوع الثاني، قول ابن عقيل لدى شرح الرقم ٥٩ للبحث «النكرة والمعرفة — الضمير»: ٥٩. وَأَلْفٌ وَالْوَاوُ وَالتَّوْنُ لِمَا غَابَ وَغَيْرِهِ كَقَامًا وَعَلَمًا

فيقول: «الألف والواو والنون من ضمائر الرفع المتصلة، وتكون للغائب وللمخاطب؛ فمثال الغائب الزيدانِ قَامَا، والزيدونَ قَامُوا، والهنْدَاتُ قَمْنَ ومثال المخاطب اعْلَمَا واعْلَمُوا، واعْلَمْنَ»^١. ومن مواضع تكميلهما الشواهد الأربعة التي يشير الناظم إلى عبارات أو كلمات منها، ما فعل السيوطي في باب «المعرف بأداة التعريف» عند شرح البيت ١٠٨:

١٠٨. وَلَا ضُطْرَارَ كَبَنَاتِ الْأَوْبَرِ كَذَا وَطَبْتَ النَّفْسُ يَا قَيْسُ السَّرِي

حين يقول: «(و) تزد زائدة غير لازمة بأن دخلت (لاضطرار كبنات الأوبر) في قول الشاعر:

ولقد جنيتك أكمثًا وعساقلاً ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

أراد به بنات أوبر وهو ضرب من الكمأة (كذا وطبت النفس) في قول الشاعر:

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا صددت وطبت النفس (يا قيس) عن عمرو

أراد نفسًا، وقوله (السري) معناه الشريف ثم به البيت»^٢.

٥-٢- تكميل الشروط، والوجوه، والأقسام المذكورة في الأبيات

معلوم أنه لا بد من ذكر الشروط، والوجوه، والأقسام في بيان قواعد النحو والصرف، وهذا ما لا يقل في الشرحين. وأما عناية ابن عقيل بذكرها فأكثر من عناية السيوطي ومنهجه في بيانها أقرب إلى سبل التعلم لأنه يُحصي الشروط وغيرها بالأعداد المتوالية. يتضح هذا الاختلاف عند نموذج مشترك في البحث عن «الابتداء» في شرح الأرقام ١٢٥ إلى ١٢٧:

١٢٥. وَلَا يَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ بِالنَّكِرَةِ مَا لَمْ يُقَدْ كَعِنْدَ زَيْدٍ نَمْرَةٍ

١٢٦. وَهَلْ فَتَى فِيكُمْ فَمَا خَلَّ لَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْكِرَامِ عِنْدَنَا

١٢٧. وَرَغْبَةٌ فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ وَعَمَلٌ بَرٌّ يَزِينُ وَلَيْقَسَ مَا لَمْ يُقَلْ

يقول ابن عقيل:

١- بماء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ٩٢.

٢- جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٨٦- ٨٧؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ١١٣- ١١٤.

الأصلُ في المبتدأ أن يكون معرفة وقد يكون نكرة، لكن بشرط أن تُفيدَ، وتُحصلُ الفائدةُ بأحد أمور ذَكَرَ المصنفُ منها ستةٌ أحدها أن يتقدم الخبر عليها ... السادس أن تكون مُضَافَةً، نحو «عَمَلُ بَرِّ يَزِينُ». هذا ما ذكره المصنف في هذا الكتاب، وقد أُنْهَاهَا غَيْرُ المصنف إلى ثِيْفٍ وثلاثين موضعاً، وأكثرَ من ذلك، فذكرَ هذه الستة المذكورة. والسابع أن تكون شرطاً ... الرابع والعشرون: أن تكون بعد «كم» الخبرية، ... وقد أُنْهِيَ بعضُ المتأخرين ذلك إلى ثِيْفٍ وثلاثين موضعاً، وما لم أذكره منها أَسَقَطْتُهُ؛ لرجوعه إلى ما ذكرته، أو لأنه ليس بصحيح^١.

ويقول السيوطي:

(ولا يجوز الابتداء بالنكرة ما) دام الابتداء بها (لم تُفِدْ) لأنه لا يُخبر إلا عن معروف فإن أفاد جاز الابتداء. وتحصيل الفائدة بأمور أحدها ... (و) السادس أن تكون مضافة نحو (عمل بَرٍّ يَزِينُ). (وليُقَس) على ما ذُكر (ما لم يُقَل) بأن يجوز كلُّما وُجد فيه الإفادة كأن يكون فيها معنى التعجب كـ «ما أحسن زيدا»، أو تكون دعاء نحو ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ [الصفات ٣٧: ١٣٠]، ... أو تالية لإذا الفجائية ... وقد توجد الإفادة دون شيءٍ مما ذُكر كقولك «شجرة سجدت» و «ثمرة خيرٌ من جرادة»^٢.

فكلا الشارحين يُحصي الصور الست التي ذكرها الناظم، ثم يزيدها عليها شروطاً أخرى، وأما ابن عقيل فيتابع الإحصاء بالأرقام ويبلغها إلى بينما السيوطي لا يذكر "الرابع والعشرون" إلا موارد دون الإحصاء بالأعداد؛ وهكذا يفعلان طوال شرحيهما وذكر ابن عقيل للشروط وغيرها أوسع، وفي الغالب يحصيها بذكر الأعداد لكل منها، وإحصاء السيوطي لها قليل، والنموذج المذكور من هذا القليل.

٥- ٣- استدراك ما لم يذكره الناظم من تعليل في القواعد

هناك نماذج كثيرة لهذا النوع من الاستدراك في الشرحين، فالشارحان يعينان القارئ على تعلّم القواعد بتعليلهما للقواعد التي ذكرها الناظم لكنه لم يبين سبب وضعها، ولهذا ترجيح أحدهما على الآخر ليس بسهولة، وربما يكثر عددها عند السيوطي؛ فاستدراكهما لما لم يذكره الناظم من تعليل القواعد مما جعل شرحيهما من الشروح التعليمية. منها ما فعل السيوطي في شرح الرقم ٥٧ من باب «النكرة والمعرفة»:

١- بماء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ٢٠٢ - ٢١٢.

٢- جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٩٩ - ١٠١؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ١٢٨ - ١٣١.

٥٧. وَكُلُّ مُضْمَرٍ لَهُ الْبِنَاءُ يَجِبُ وَلَفْظٌ مَا جُرَّ كَلَفْظٍ مَا نُصِبَ

يقول: «(وكل مضمَر له البناء يجب) لشبهه بالحروف في المعنى، لأن التكلم والخطاب والغيبة من معاني الحروف، وقيل: في الافتقار، وقيل: في الوضع في كثير وقيل: لاستغنائه عن الإعراب باختلاف صيغته وحكاها في التسهيل إلا الأول»^١. ومن نماذج استدراك ابن عقيل هذا شرحه للبيت ١٨٣ في البحث عن «إن وأخواتها»^٢، لم نذكرها لضيق المجال.

٥ - ٤ - استدراك ما لم يذكره الناظم من القواعد

يكثر الشارحان استدراك ما لم يذكره الناظم من القواعد، وإن ندقق في الشرحين نرى بعض اختلافات؛ منها أن السيوطي كثيراً ما يستند إلى الكتب المختلفة خاصة كتب المصنف الأخرى لبيان هذه القواعد بخلاف ابن عقيل؛ ومنها أن السيوطي يقسم شرحه إلى أقسام ويتبعه بهوامش وهي على ترتيب كثرتها في الشرح: «تممة»، و«فصل»، و«فرع»، و«تنبيه»، و«خاتمة»، و«قاعدة»، و«ضابطة»، و«فائدة»؛ كما يورد أيضاً استدراكاته ذيل هذه الأقسام إلا أنه على هامش ما يسميه بـ «فصل» يشير إلى بدء البحث عن فرع جديد من القاعدة؛ منه قول السيوطي عند البحث عن «ما لا ينصرف» في شرح الرقم ٦٧٣:

٦٧٣. عِنْدَ تَمِيمٍ وَاصِرَفَنَ مَا نُكِّرَا مِنْ كُلِّ مَا التَّعْرِيفُ فِيهِ أَتَرَا

يقول: «فرعٌ إذا سُمِّيَ بـ "أحمر" ثم نُكِرَ لم ينصرف عند سيبويه والأخفش في آخر قوله لما ذكر أو بنحو مساجد ثم نُكِرَ فسيبويه يمنعه والأخفش يصرفه ولم يُنْقَلْ عنه خلافه. تممةٌ من المقتضي للصراف التصغير المزيل لأحد السببين نحو "حُميد" و"عُمير"^٣.

ويستدرك ابن عقيل عند شرح الرقم ٣٠٧ في البحث عن «المفعول فيه»^٤ الناظم في عدم ذكر حكم أسماء أمكنة مختصة مع «دخل، وسكن» أو حكم كلمة «الشام» مع «ذهب».

٦ - التنبيه على إشارات النص وتفسيرها

١ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٤٦ - ٤٧؛ جلال الدين السيوطي،

شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ٦٢ - ٦٣.

٢ - بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ٣٣٣ - ٣٣٢.

٣ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٤٥٨؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ٢: ٦١٦.

٤ - بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ٥٣١.

يعتني الشارحان ببيان قصد الناظم بعباراته في الأبيات غير أن النماذج عند ابن عقيل أكثر منها عند السيوطي، وألفاظه في هذا المضمار متنوعة، فكثيراً ما يستمد من لفظة «أشار» ومشتقاتها وألفاظ أخرى مع مشتقاتها؛ كـ «يشعر»، و«ينبه»، و«معنى» و«المراد»، و«يفهم» و«يستفاد»، وغيرها، وفي مواضع غير قليلة بعد شرح البيت يأتي عبارات من كلام المصنف ويُنْبَه على ما هو خارج من القاعدة. وربما ترجع قلة هذه التنبيهات عند السيوطي إلى نوع شرحه الذي يختلط فيها الشرح بالنص، فالقارئ يقرأهما معاً ويفهم قصد الناظم بعباراته دون حاجة إلى المزيد، ومع هذا قد يشير السيوطي إلى إشارات النص. فعند شرح البيتين ٩٠٠ و ٩٠١ من باب «الإمالة»:

٩٠٠. الألفَ المُبْدَلُ مِنْ يَا فِي طَرْفٍ أُمِلْ كَذَا الْوَاقِعُ مِنْهُ الْيَا خَلَفَ

٩٠١. دُونَ مَزِيدٍ أَوْ شَذُوذٍ وَلَمَّا تَلِيَهُ هَا التَّانِيثُ مَا الْهَذَا عَدِمَا

يقول ابن عقيل: «واحترز بقوله: "دون مزيد أو شذوذ" مما يصير ياء بسبب زيادة ياء التصغير، نحو: قفي... وأشار بقوله: "ولما تليه ها التانيث ما الها عديماً" إلى أن الألف التي وُجِدَ فيها سببُ الإمالة تمال وإن وليتها هاء التانيث كفتاة»^١.

٧- استخدامهما المنهج التعليمي

سلك الشارحان مسلك الكتب التعليمية فاهتما بتحليل المسائل وتبيينها بطرق مختلفة منها ذكر الأمثلة المتعددة، وبيان الخلافات النحوية، وتعليل المسائل، والتنبيه على إشارات النص، وغيرها ولا غرو أن لكل منهما ميزات في هذه الطرق تُسبب اختلاف الشرحين من جهات، منها أن ابن عقيل قبل أن يشرح في شرح البيت، يأتي بشرح موجز من كلام الناظم ثم يفصله بذكر الأمثلة المتعددة، ويخصي وجوه الحكم وشروطه مفصلاً بالأعداد، ويشرح عبارات الناظم، وقد ينثر نصَّ الألفية بشكل موجز وظاهر كلامه يدل على أنه ينسبه إلى المصنف وربما السبب فيه إشعار كلام الناظم بذلك. ومضى تفصيل اختلاف الشرحين في إحصاء الشروط والوجوه، والتنبيه على إشارات أبيات الألفية وإكثار ابن عقيل فيهما، وقلنا إنَّ الشارحين أكثرنا من الإتيان بالأمثلة، لكننا حين نُقَارِن الشرحين نجد كثرة الأمثال في شرح ابن عقيل.

وأما قلة هذه الميزات الثلاثة في البهجة المرضية فلا تعني ضعفها لأن منهج السيوطي فيها منهج تعليمي بعيد عن الإطناب، ورُغِم الصعوبات التي تُواجهها الشروح المرجية فقد استطاع أن يأتي بشرحه على الألفية من غير نقص أو خلل في مفهوم كلام المصنف؛ فيأتي ضمن عبارات المصنف بصفات وقيود، ومعانٍ، وأمثلة كثيرة؛ وربما سبب قلة هذه الميزات راجع إلى اهتمامه باختصار الكلام

والبعد عن الإطناب، أو استعماله مصطلحات منطقية، من مثل «الدوال الأربع»^١، و«الدور»^٢؛ أو مصطلحات غير مشهورة، نحو «الأوتار، والأشفاغ»^٣.

وليتضح ما ذكرنا من اختلاف الشرحين نقارن شرحيهما في موضعين؛ ففي شرح الرقم ١٧٧ من باب «إن وأخواتها»:

١٧٧. وَهَمْزٌ أَنْ أَفْتَحَ لَسَدٌ مَصْدَرٌ مَسَدَّهَا وَفِي سَوَى ذَاكَ اكْسَرُ

يقول ابن عقيل:

«إنَّ» لها ثلاثة أحوال وُجُوب الفتح، وُجُوب الكسر، وجَوَاز الأمرين فيجب فتحها إذا قُدِّرَتْ بمصدر، كما إذا وَقَعَتْ فِي مَوْضِعٍ مرفوع فَعَلَ، نحو «يعجبني أنك قائم» أي قيامك، أو منصوبه، نحو «عَرَفْتُ أنك قائم» أي قيامك، أو في موضع مجرور حرف، نحو «عجبت من أنك قائم» أي من قيامك، وإنما قال: «لَسَدٌ مَصْدَرٌ مَسَدَّهَا» ولم يَقُلْ: «لسد مفرد مسدَّها» لأنه قد يسد المفرد مَسَدَّهَا ويجب كسرها، نحو «ظننت زيدا إنه قائم» فهذه يجب كسرها وإن سَدَّ مَسَدَّها مفرد، لأنها في موضع المفعول الثاني، ولكن لا تُقَدَّر بالمصدر، إذ لا يصح «ظننت زيدا قيامه» فإن لم يجب تقديرها بمصدر لم يجب فتحها، بل تُكْسَرُ وجوباً، أو جوازاً، على ما سنبين، وتحت هذا قسمان، أحدهما وجوب الكسر، والثاني جواز الفتح والكسر.

بينما يقول السيوطي: «(وهمز إن افتح) وجوباً (لسد مصدر مسدَّها) بأن تقع فاعلاً، أو نائباً عنه، أو مفعولاً غير محكية، أو مبتدأ، أو خبراً عن اسم معنى غير قول أو مجرورة أو تابعة لشيء من ذلك (وفي سوى ذاك اكسر) وجوباً»^٤.

فهنا فصل ابن عقيل شرحه في عبارات سليمة وأتى بالأمثلة وأحصى الوجود، أما السيوطي فاختصر شرحه للبيت من غير تفصيل وذكر الأمثلة، وغيرها.

١ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٤٥٨؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١١؛ ١٢: ١، (باب "الكلام وما يتألف منه").

٢ - المصدران السابقان على الترتيب المذكور، ٢٤٥؛ ١: ٣٣٢، (باب "الحال").

٣ - المصدران السابقان على الترتيب المذكور، ٢٣٨-٢٣٩؛ ١: ٣٢٣-٣٢٤، (باب "الاستثناء").

٤ - بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ٣٢١-٣٢٢.

٥ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ١٣١؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ١٧٢ - ١٧٤.

وكلا الشارحين يسعى طوال شرحه أن يميز المقيس مما ليس بمقيس أو مما هو مقصور على السماع؛ وهذا موضع التأمل ومن نقاط قوة الشرحين أيضاً إذ يتعرف القارئ إلى مواضع القياس والسماع، ومن خلاله يتضح موقفهما من القياس والسماع، فإنهما لا يقيسان بما هو شاذ أو مقصور على السماع كما فعله الكوفيون؛ فمذهبهما قريب من مذهب البصريين وابن مالك؛ ومن هذا القبيل قول السيوطي عند شرح البيتين ٤٥٧ و ٤٥٨ من باب «أبنية أسماء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهة بها»:

٤٥٧. كَفَاعِلُ صُغِ اسمَ فاعِلٍ إذا مِنْ ذِي ثَلَاثَةٍ يَكُونُ كَعَدَا
٤٥٨. وَهُوَ قَلِيلٌ فِي فَعْلَتُ وَفَعْلٌ غَيْرُ مُعَدَّى بِلِ قِيَاسِهِ فَعِلٌ

يقول: «(كفاعل صغ اسم فاعل إذا من ذي ثلاثة) مجرّد مفتوح العين لازماً أو متعدّياً أو مكسوراً متعدّياً (يكون كعدا) ... (وهو قليل) مقصورٌ على السماع (في فَعْلَتُ) بضمّ العين (وفَعِلٌ) بكسر العين حال كونه (غير معدّي) كـ «حَمَضَ فهو حامضٌ وأَمِنَ فهو آمِنٌ» (بل قياسه) أي فَعِلٌ بالكسر أي إتيان الوصف منه في الأعراس (فَعِلٌ)»^١. ونؤدّجه عند ابن عقيل في شرح البيتين ٥٠٠ و ٥٠١ من باب «أفعل التفضيل»^٢

٨ - تبين بعض المسائل النحوية في أبيات الألفية ومعنى الكلمات والمصطلحات

مما قل اعتناء الشارحين به هو بيان إعراب أجزاء أبيات الألفية، وإن كان مدى اعتناء السيوطي به أكثر من ابن عقيل؛ وإعرابهما للشواهد والأمثال المذكورة أكثر من إعرابهما لأبيات الألفية، وبيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لأجزاء كلام المصنف في شرحيهما ليس بقليل فلا يوجد اختلافٌ في كيفية بيان هذه المسائل بين الشرحين.

فنرى ابن عقيل عند شرح البيت ٤١ من باب «المعرب والمبني»:

٤١. وَمَابِتَا وَأَلْفٍ قَدْ جُمِعَا يُكْسَرُ فِي الْجَرِّ وَفِي النَّصْبِ مَعَا

يقول: «فالباء في قوله "بتا" متعلقة بقوله "جمع"»^٣.

ومن بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لألفاظ الألفية ما جاء في شرح الرقم ٧٤ من باب «العلم»:

٧٤. وَأَسْمًا أَتَى وَكُنْيَةً وَلَقَبَا وَأَخْرَجَ ذَا إِنْ سِوَاهُ صَحَبَا

١ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٣٣١؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ٤٥٠.

٢ - بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ٢:

١٧٠ - ١٧١.

٣ - المصدر نفسه، ١: ٧٤.

حيث يقول ابن عقيل: «ينقسم العلم إلى ثلاثة أقسام: إلى اسم، وكُنْيَةٍ، ولَقَب، والمراد بالاسم هنا ما ليس بكُنْيَةٍ ولا لَقَب، كزيد وعمر، وبالكُنْيَةِ ما كان في أوله أَبٌ أو أُمٌّ، كأبي عبد الله وأُمُّ الخير، وباللقب ما أشعر بمدح كزين العابدين، أو ذم كأنف الناقة»^١.

ويقول السيوطي عند شرح الرقم ٩٨٧ من باب «الإبدال»:

٩٨٧. طَا تَا افْتَعَالٌ رُدٌّ إِثْرٌ مُطَبِّقٌ فِي ادَّانَ وَازْدَدَ وَادَّكَرَ دَالًا بَقِي

«فصل ط (ط) مفعول ثانٍ (تا افتعال) مفعول أول لقوله (رُدّ). بمعنى صير طاءً إذا وقع (إثر) حرفٍ (مطبق) وهو الصاد، والضاد، والطاء، والظاء ك «اصطفي، واضطرب، واطعن، واطلم» وإن وقع (في) إثر دال أو زاء أو نحو (ادّان وازدد وادّكر) فإنه (دالاً بقي) أي صار، إذ أصل هذه الأمثال: ادتان، وازتد، واذتكر»^٢. فهنا يذكر الدور الإعرابي لـ «طا» و«تا»، ويبيّن معنى جملة «طا تَا افْتَعَالٌ رُدٌّ»، ويأتي بالموصوف المحذوف لـ «مطبق»، ويذكر المحذوفات الأخرى من البيت، ويبيّن معنى «بقي» في كلام المصنف هذا.

٩ - توجيه ما فعله ابن مالك من تقديم، وتأخير، وطريقة عرض القواعد

إن تعليل وتوجيههما لما فعله ابن مالك في أبيات الألفية غير قليل، وهذا يرشد الطالب إلى استيعاب كلام المصنف؛ فهما في هذا القسم من شرحيهما على السواء وربما كان تعليل السيوطي لابن مالك أكثر من ابن عقيل.

يعلل ابن عقيل قول المصنف عند البيتين ٤٢٤ و ٤٢٥ من باب «إعمال المصدر»:

٤٢٤. يَفْعَلُهُ الْمَصْدَرُ الْحَقُّ فِي الْعَمَلِ مضافاً أو مجرداً أو مع ال

٤٢٥. إِنْ كَانَ فِعْلٌ مَعَ أَنْ أَوْ مَا يَحُلُّ حمله ولاسم مصدرٍ عَمَلٍ

«إعمال المضاف أكثر من إعمال المنون، وإعمال المنون أكثر من إعمال المحلى بـال، ولهذا بدأ المصنف بذكر المضاف، ثم المجرد، ثم المحلى»^٣.

وقول السيوطي عند شرح البيت ٨ من باب «الكلام وما يتألف منه» من هذا القبيل:

٨. كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقَمَ وَأَسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمِ

«وعطف الناظم الحرف بـثم إشعاراً بتراحي رتبته عما قبله لكونه فضلةً دونهما،

ثم الكلم على الصحيح اسم جنسٍ جمعي»^١.

١ - بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ١١٤.

٢ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٦١٠؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ٢: ٨٥٦ - ٨٥٧.

٣ - بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ٢: ٨٩.

١٠- ما يتصل بقراءة البيت، و الرواية، والنكات العروضية والبلاغية

لم يذكر الشارحان مسألة عروضية حول أبيات الألفية، بل لم نجد في شرح ابن عقيل التطرق إلى المسائل القرآنية والبلاغية للأبيات، في حين قد ذكر الشارح في البهجة المرضية قراءة بعض كلمات الأبيات وفي موضع أشار إلى مسألة بلاغية لبيت من الألفية وهو عند شرح البيت ٥٤ من باب «النكرة والمعرفة»:

٥٤. فَمَا لِذِي غِيَبَةٍ أَوْ حُضُورٍ كَأَنَّ وَهوَ سَمِّ بِالضَّمِيرِ

حيث يقول: «وقد عكس المصنف المثال فجعل الثاني للأول والأول للثاني على حد قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران ١٠٦: ١]»^١؛ فالنكتة هي اللف والنشر المشوَّش استعملها الناظم في البيت.

وقليلاً ما نبه الشارحان على رواية الأبيات؛ ومن خلال تتبعنا في الشرحين وجدنا ثلاثة مواضع تتصل باختلاف الشرحين في رواية الأبيات جديرة بالذكر، أحدها البيت ٦٧ من باب «النكرة والمعرفة»:

٦٧. وَفِي اتِّحَادِ الرُّبُوبَةِ الزَّمْ فَصْلًا وَقَدْ يُبِيحُ الْغَيْبُ فِيهِ وَصْلًا

حيث يقول ابن عقيل بعد شرح البيت: «نعم إن كانا غائبين واختلَفَ لفظُهُمَا فقد يتصلان نحو الزيدان الدرهم أعطيتُهُمَا، وإليه أشار بقوله في الكافية:

مَعَ اخْتِلَافٍ مَا وَنَحْوَ ضَمِنْتُ إِيَّاهُمْ الْأَرْضُ الضَّرُورَةُ اقْتَضَتْ

وربما أثبت هذا البيت في بعض نسخ الألفية وليس منها»^٢.

والسيوطي يقول متابعاً شرحه: «ولكن لا مطلقاً بل مع وجود اختلاف ما بين الضميرين، ... ونحو قول الفرزدق:

بِالْبَاعِثِ الْوَارِثِ الْأَمْوَاتِ قَدْ ضَمِنْتُ إِيَّاهُمْ الْأَرْضُ فِي دَهْرِ الدَّهَارِ

الضرورة اقتضت انفصال الضمير مع إمكان اتصاله»^٣.

١- جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ١٣؛ جلال الدين السيوطي،

شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ١٤.

٢- المصدران السابقان على الترتيب المذكور، ٤٥-٤٦؛ ١: ٦١.

٣- بماء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ١٠٤.

٤- جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٥٢؛ جلال الدين السيوطي،

شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ٧٠-٧١.

فأشار ابن عقيل إلى بيت الكافية لبيان ما أورده لتكميل كلام المصنف ثم نبّه على أن هذا البيت ليس من الألفية، وإن وُجد في بعض النسخ؛ وأما في شرح السيوطي على هذا البيت فيمكن أن نفترض حالتين؛ الأولى أنه أثبت بيت الكافية في ضمن أبيات الألفية؛ لأننا نرى أجزاء بيت الكافية ضمن كلامه كشرحه للأبيات الأخرى وبرزنا هذه الأجزاء للوضوح الأكثر، وإن يكن هكذا — كما نشاهد في شرح السيد صادق الشيرازي للبهجة المرضية فقد جعل هذه الأجزاء بين القوسين كبيت للألفية — فنستنتج اختلاف الشارحين في إحصائهما لأبيات الألفية؛ وأما الحالة الثانية فهي أنه قصد السيوطي تكميل كلام المصنف مستفيداً من بيت الكافية ثم شرحه كبيت للألفية - كما فعل ابن عقيل - لكنه لم يذكر السند.

والرقم ١٠٦ من باب «المعرف بأداة التعريف» في شرح ابن عقيل يكون:
 ١٠٦. أَلْ حَرْفُ تَعْرِيفٍ أَوْ اللَّامُ فَقَطْ فَنَمَطٌ عَرَفْتُ قُلْ فِيهِ التَّمَطُّ^١
 ونقرأ في نص البهجة المرضية: «(أَل) بحملتها هل هي (حرف تعريف أم اللام فقط)»^٢. فالسيوطي روى «أم» بدل «أو» في رواية ابن عقيل.

ورواية البيتين ٣٩٤ و ٣٩٥ من باب «الإضافة» في شرح ابن عقيل على ما يلي:
 ٣٩٤. وَلَا يُضَافُ اسْمٌ لِمَا بِهِ اتَّحَدُ مَعْنَى وَأَوَّلُ مُوْهِمًا إِذَا وَرَدَ
 ٣٩٥. وَرُبَّمَا أَكْسَبَ ثَانٍ أَوَّلًا تَأْنِيثًا إِنْ كَانَ لِحَذْفٍ مُوْهِلًا^٣
 هذا، وترتيبهما في البهجة المرضية بخلافه يعني أن الرقمين ٣٩٤ و ٣٩٥ فيها هكذا:
 ٣٩٤. وَرُبَّمَا أَكْسَبَ ثَانٍ أَوَّلًا تَأْنِيثًا إِنْ كَانَ لِحَذْفٍ مُوْهِلًا
 ٣٩٥. وَلَا يُضَافُ اسْمٌ لِمَا بِهِ اتَّحَدُ مَعْنَى وَأَوَّلُ مُوْهِمًا إِذَا وَرَدَ^٤

١١ - الإتيان بالنتيجة للأبيات

- ١ - بماء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ١٦٧.
- ٢ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٨٤؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ١١١.
- ٣ - بماء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ٢: ٤٧ - ٤٨.

- ٤ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٢٨٥ — ٢٨٦؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ٣٩٠.

حين ندقق النظر في شرح ابن عقيل للأبيات نجد عند بعضها بياناً موجزاً لما يتضمنه البيت بعد شرح تام للبيت، وهذا مما يختص بشرح ابن عقيل وليس هناك نموذج في البهجة المرضية، ومن هذا القبيل. قوله بعد شرح الرقم ٧٢٨ في البحث عن «العدد»:

٧٢٨. وَمِائَةٌ وَالْأَلْفَ لِلْفَرْدِ أَضِفْ وَمِائَةٌ بِالْجَمْعِ نَزْرًا قَدْ رُدِفْ

«والحاصل أن العدد المضاف على قسمين، أحدهما: ما لا يضاف إلا إلى جمع، وهو من ثلاثة إلى عشرة. والثاني: ما لا يضاف إلا إلى مفرد، وهو مائة، وألف، وتشيتهما، نحو "مِائَتَا درهم"، و"ألفا درهم"، وأما إضافة مائة إلى جمع فقليل^١. وفي الحقيقة هذا البيان خلاصة من المعنى المراد بهذا البيت والبيتين قبله - الرقمان ٨٢٦ و ٨٢٧ - والقسم الثاني من العدد المضاف هو المقصود في البيت المذكور.

١٢ - موقف الشارحين من آراء ابن مالك والنحاة الآخرين

اعتنى الشارحان كلاهما بذكر الآراء النحوية المختلفة في قسم وسيع من شرحيهما؛ وكان هم السيوطي في بيان الآراء انتسابها إلى قائلها كما هو دأبه في كتبه الأخرى وكما اعترف هو نفسه بهذا في مقدمة عقود الزبرجد حيث يقول: «قد أوردت كلام أبي البقاء معزواً إليه ليعرف قدر ما زدته عليه وتتبع ما ذكره أئمة النحو في كتبهم المبسوبة من الأعاريب للأحاديث وأوردتها بنصها معزوة إلى قائلها لأن بركة العلم عزو الأقوال إلى قائلها، ولأن ذلك من أداء الأمانة وتجنب الخيانة»^٢. وفي التالي مقارنة موجزة بين موقف الشارحين من آراء ابن مالك، والنحاة الآخرين، واستنادهما إلى كتب أخرى للمصنف والنحاة الآخرين.

١٢-١ - موقفهما من آراء ابن مالك

إن الغالب لمواضع بيان آراء ابن مالك في الشرحين تبين آرائه إما دون إشارة إلى الآراء الأخرى، وإما بجانب آراء النحاة الآخرين، وربما يأتي الشارحان برأي المصنف لأغراض أخرى مثل بيان موافقة رأى المصنف للآخرين أو لاستدراك ما لم يُذكر في البيت، أو بيان رد المصنف لبعض الآراء. واختلفا في بيان اعتقادهما حول آراء المصنف، فلم يكتفِ ابن عقيل باعتقاده، فإن أحسنَّ بخطأ في كلامه نبه عليه كما ذكر بموافقة لرأي المصنف؛ فيعرب عن موافقته بعبارة نحو «وهو كذلك»، و«وهو كما ذكر»، و«وهو الصحيح» وغيرها وفي بعض الأحيان يُصدّق كلام المصنف مقيداً بشرط؛ أو يُدافع عما ذكره الناظم في البيت؛ و يبيّن مخالفاته عبر عبارات منها «ليس كذلك»، و«ليس

١ - بماء الدين عبدالله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ٢: ٣٧٤.

٢ - جلال الدين السيوطي، عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، ١: ٧١.

بصحيح»، و«ليس هذا بجيد»، و«فيه نظر» وغير ذلك؛ وعلى أية حال إنه قد أمعن النظر في جميع آراء المصنف وفي الغالب أعرب عن اعتقاده حولها بلا واسطة ونقل عن كلام الآخرين، ولم يمنعه شيء عن إظهار رأيه؛ أبرز نموذج لهذا ترجيحه رأي سيبويه على رأي الناظم، في قوله عند شرح الرقمين ٦٤ و ٦٥ من باب «النكرة والمعرفة»:

٦٤. وَصِلْ أَوْ أَفْصِلْ هَاءَ سَلْنِيهِ وَمَا أَشْبَهَهُ فِي كُنْتُهُ الْخُلْفَ انْتَمَى

٦٥. كَذَاكَ خِلْتَنِيهِ وَأَنْصَلَا اخْتَارَ غَيْرِي اخْتَارَ الْانْقِصَالَ

حيث يقول: «ومذهب سيبويه أرجح، لأنه هو الكثير في لسان العرب على ما حكاه سيبويه عنهم وهو المُشافه لهم؛ قال الشاعر:

إِذَا قَالَتْ حَدَامٌ فَصَدَّقُوها فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَدَامٌ^١

فيرجح رأي سيبويه على رأي المصنف من غير أن يراعي جانب ناظم الألفية.

وأما السيوطي ففي الغالب يقارن رأي المصنف في الألفية مع رأيه في كتبه الأخرى، ويبيّن الرأيين المتباينين في كتابين للمصنف دون الانحياز، وقد يرجح أحدهما على الآخر، أما المواضع التي يرد رأي ابن مالك فيها دون الاستناد إلى رأي الآخرين فقليلة، وفي الغالب يستند إلى قول النحاة الآخرين لرد رأي أو ترجيحه وقد يدافع عنه مستفيداً من قول الآخرين، وهناك موضع رجح الشارح رأيه على الرأي المذكور في بيت الألفية وهو عند شرحه للرقم ٢٦١ من باب «اشتغال العامل عن المعمول»:

٢٦١. وَبَعْدَ عَاطِفٍ بِلَا فَصْلِ عَلَى مَعْمُولٍ فَعِلٍ مُسْتَقَرٌّ أَوْلاً

يقول: «وحيث العطف ليس على المعمول كما ذكره هنا ولو قال «تلا» بدل «على» لتخلص منه»^٢.

والشارح قليلاً ما يذكر رأيه قبل آراء المصنف، وفي بعض الأحيان يستمد من قول الآخرين في قبول آرائه أو ردها، وفي موضع يدافع عن المصنف مستفيداً من قول أبيه.

وعلى أية حال فإن ملاحظات ابن عقيل على المصنف أكثر من السيوطي، وإن نقارن عينات من شرحيهما نلاحظ أن السيوطي إما يرد رأي المصنف مستفيداً من آراء الآخرين، وإما يستنبط منه مفهوماً مخالفاً لما استنبطه ابن عقيل فهذا لا يخالف كلام المصنف، وإما يضيف إلى أجزاء البيت قيوداً فهكذا يصحح ما يراه خطأ من المصنف؛ ونموذج هذا الأخير عند شرح البيت ١١٨ من باب «الابتداء»:

١١٨. وَالْخَبَرُ الْجُزْءُ الْمُتِمُّ الْفَائِدَةُ كَاللَّهُ بَرٌّ وَالْأَيَادِي شَاهِدَةٌ

١ - بماء الدين عبدالله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ١٠١.

٢ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ١٩١؛ جلال الدين السيوطي،

شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ٢٦٣-٢٦٤.

يقول ابن عقيل:

عَرَّفَ المصنّفُ الخَبَرَ بأنّه الجزء المكمل للفائدة، ويردُّ عليه الفاعلُ، نحو «قَامَ زَيْدٌ» فإنه يَصْدُقُ على زيد أنه الجزء المُتِمُّ للفائدة، وقيل في تعريفه إنه الجزء المنتظم منه مع المبتدأ جملةً، ولا يرد الفاعلُ على هذا التعريف، لأنه لا ينتظم منه مع المبتدأ جملةً، بل ينتظم منه مع الفعل جملةً، وخلاصة هذا أنه عَرَّفَ الخَبَرَ بما يُوجَدُ فيه وفي غيره، والتعريف ينبغي أن يكون مختصاً بالمُعَرَّفِ دون غيره^١.

في حين يقول السيوطي: «(والخبر) هو (الجزء المتمم الفائدة) مع مبتدئ غير الوصف (كالله بر) أي محسن لعباده (والآيادي) أي النعم (شاهده) له»^٢. فهنا اختصر السيوطي شرحه للبيت من غير أن يخالف المصنف ثم كمل تعريفه بقوله: «مع مبتدئ غير الوصف» وهكذا وافق التعريف مع ما قاله ابن عقيل دون المخالفة للمصنف.

ونموذج آخر من استنباط ابن عقيل خلاف مراد الناظم هو عند الرقم ٣٠٤ من باب «المفعول فيه»:

٣٠٤. فانصبه بالواقع فيه مظهرًا كَانَ وَإِلَّا فَأَنُوهُ مُقَدَّرًا

حين يقول: «وظاهر كلام المصنف أنه لا ينصبه إلا الواقع فيه فقط، وهو المصدر، وليس كذلك، بل ينصبه هو وغيره كالفعل، والوصف»^٣. واعتراض الخضري ومحيي الدين عبد الحميد عليه وينبهان على أن مخالفة ابن عقيل ترجع إلى استنباطه من كلام الناظم في حين يستنبطان من البيت خلاف ما يستنبطه الشارح، فعلى هذا لا اعتراض على المصنف.

وهنا تأتي باعتراض الخضري هذا في حاشيته على شرح ابن عقيل:

قوله (وهو المصدر) فيه تسامح لأن الواقع في الظرف هو الحدث لا المصدر لأنه لفظ. وأيضًا الحدث لم يقع في الظرف اصطلاحًا وهو اللفظ بل في مدلوله، أي نفس الزمان والمكان ففي المتن حذف مضافين أي فانصبه بالدال الواقع في مدلوله أي باللفظ الدال على الحدث بالمطابقة، أو بالتضمن فيدل المصدر وغيره، ويندفع اعتراض الشارح الآتي أو فيه استخدام يجعل ضمير انصبه للظرف الاصطلاحي، وضمير فيه لمدلوله فيستغنى عن المضاف الثاني فقط، والأول لا بد منه. والمراد بالواقع ما شأنه أن يقع فدخل ما صمت اليوم^٤.

١ - بماء الدين عبدالله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ١٨٩.

٢ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٩٣؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ١٢١-١٢٢.

٣ - بماء الدين عبدالله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١: ٥٢٨.

٤ - الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، ١: ٢٩١.

وأما استنباط السيوطي من البيت فيوافق استنباطهما ولهذا لا يعترض على المصنف، فيقول: «(فانصبه بالواقع فيه) وهو المصدر ومثله الفعل والوصف (مظهرًا كان) كما تقدّم (وإلا فانوه مقدّرًا) نحو فرسخًا لمن قال: كم سِرت؟»^١.

فعلى هذا وإن كان اعتراضات ابن عقيل على المصنف أكثر منها عند السيوطي، ولكن لا يرد جميعها عليه لأن بعضها يرجع إلى استنباطه من البيت، وعدم مخالفة السيوطي للمصنف يرجع أيضًا إلى استنباطه، أو استدراكه لكلامه دون أن يُذكر بخطئه.

١٢-٢ - موقفهما من آراء النحاة الآخرين

إن موقف الشارحين من آراء النحاة الآخرين قريب من موقفهما من آراء الناظم فالغالب عندهما هو بيان الآراء دون الانحياز إلى أحد منها، وقد يستندان إلى رأي النحاة لاستدراك ما لم يذكره الناظم؛ وقد يرجحان رأيًا على آخر، ويخالفان بعض الآراء، ويأتیان بما لبيان اتفاق نظر النحاة على رأي، أو لبيان الرأي الصحيح في اعتقادهما.

ولكنهما يختلفان في عدة مواضع، فيدقق ابن عقيل في آراء النحاة ثم يبيّن اعتقاده فإن يرّها صحيحة يعترف بصحتها، ويصرّح في مواضع غير قليلة برّد آراء النحاة؛ ويبيّن هذا الموقف بعبارات منها «وهو فاسد»، و«والحق خلاف هذا المذهب»، و«فيه نظر»، و«والصواب». كما يقول في بعض المواضع بعد بيان الآراء المختلفة «تظهر فائدة الخلاف» ثم يمثّل بأمثلة لإيضاح موضع الخلاف؛ وتشعر مواقفه من آراء سيبويه بقبوله التأمّل لآرائه. وقد يذكر الآراء ثم ينّه على أضعفها، هذا وقد يدافع ابن عقيل في عدة مواضع عن ابن مالك حين يخالفه في شرحه على الألفية؛ منها قوله عند الرقم ٢٩١ من باب «المفعول المطلق»:

٢٩١. وَحَذَفَ عَامِلَ الْمُؤَكَّدِ امْتَنَعَ وَفِي سِوَاهُ لِدَلِيلٍ مُتَّسَعٍ

فيقول: «وقول ابن المصنف «إن قوله "وحذف عامل المؤكد امتنع" سهو منه، لأن قولك: "ضربًا زيدًا" مصدر مؤكد، وعامله محذوف وجوبًا، كما سيأتي» ليس بصحيح، وما استدلل به على دعواه من وجوب حذف عامل المؤكد بما سيأتي ليس منه... ويدل على ذلك عدّم جواز الجمع بينهما، ولا شيء من المؤكّدات يمتنع الجمع بينهما وبين المؤكّد»^٢.

١ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٢٢٦ - ٢٢٧؛ جلال الدين

السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ٣٠٨.

٢ - بماء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ١:

وأما السيوطي فمخالفته للآراء ليست بكثيرة وفي الغالب يستمدّ لبيانها من قول الآخرين، ويأتي عبارات مثل «وفيه نظر»، و«ذلك وهم» و«ليس كذلك»، و«قلت»، و«ردّ»؛ وحين يأتي باعتراض ابن المصنف على أبيه إما أن يخالفه بنفسه وإما أن يأتي برأي الآخرين، فيدافع عن ابن مالك؛ ومن هذه المواضع عند شرح الرقم ٢٩١ من باب «المفعول المطلق»:

٢٩١. وَحَذَفُ عَامِلِ الْمُؤَكَّدِ امْتَنَعَ وَفِي سِوَاهُ لِلدَّلِيلِ مُتَّسَعٌ

حين يقول: «(وحذف عامل المؤكد امتنع) قال في شرح الكافية: لأنه يُقصدُ به تقوية عامله وتقرير معناه، وحذفه منافٍ لذلك. ونقصه ابنه بمجيئه في نحو «سقيًا ورعيًا» وردّ بأنه ليس من التأكيد في شيء... ويدلّ على ذلك عدم جواز الجمع بينهما، ولا شيء من المؤكدات أن يمتنع الجمع بينه وبين المؤكد»^١.

وفي موضع لا يخالف اعتراض ابن المصنف على قول أبيه في شرح الكافية فكأنه وافقه في اعتراضه ذلك؛ وهو في شرحه للبيت ٤٠٣ من باب «الإضافة»:

٤٠٣. وَأَلْزَمُوا إِذَا إِضَافَةً إِلَى جُمْلِ الْأَفْعَالِ كَهُنْ إِذَا اعْتَلَى

حيث يقول: «فرغ؛ مشبه إذا من أسماء الزمان المستقبل كإذا لا يُضاف إلا إلى الجملة الفعلية قاله في شرح الكافية نقلاً عن سيبويه واستحسنه قال: لولا أن من المسموع ما جاء بخلافه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ [المؤمن ٤٠: ١٦] انتهى. وأجاب ولده عنها بأنها مما نُزِلَ فيه المستقبل لتحقيق وقوعه منزلة الماضي وحينئذٍ فاسم الزمان فيه ليس بمعنى إذا بل بمعنى إذ وهي تُضاف إلى الجملتين»^٢.

وجديرٌ بالذكر أنه استند الشارحان إلى كتب المصنف الأخرى وكتب غيره من النحاة لبيان الآراء وتحليلها، واستدراك ما لم يذكره المصنف، وللمقابلة الآراء أو لبيان ما حكاها النحاة من الأمثلة عن العرب لاستشهاد به؛ وابن عقيل في الغالب لم يذكر اسم الكتب التي استفاد منها بل يقول «في أحد كتبه»، و«في غير هذا الكتاب» و«في بعض كتبه» بخلاف السيوطي الذي كثيراً ما يذكر اسم الكتب.

١٣ - منهجها في اختتام الشرح

إن شأن ابن عقيل في نهاية الشرح هو شأنه في أوله، فإنه يختم شرحه بالرقم تسعمائة وثمانية وتسعين (٩٩٨) من باب «الإدغام» دون أن يشرح الأبيات الأربعة الأخيرة للألفية، و دون أن يأتي بخاتمة لشرحه؛ و أما السيوطي كما يبدأ شرحه بمقدمة ثم يشرع بشرح أبيات المقدمة للألفية فيختم شرحه وهو يشرح الأبيات الأربعة الأخيرة لخاتمة الألفية ثم يأتي بخاتمة لشرحه وفيها — كالمقدمة —

١ - جلال الدين السيوطي، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، ٢١٨؛ جلال الدين السيوطي، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، ١: ٢٩٨.

٢ - المصدران السابقان على الترتيب ٢٩٢؛ ١: ٣٩٥.

يشيد بنفسه ومؤلفه، ويرّر ما فعله في الشرح من مخالفته لبعض الشراح أو اختصاره في الكلام وغيرها، ويرّثه من أي عيب.

نتيجة البحث

نصل في هذا البحث المقارني بين منهجي الشارحين للألفية - ابن عقيل والسيوطي - إلى النتائج التالية:

• إن شرح ابن عقيل من الشروح المباشرة؛ فقسم الشارح فيه أبيات الألفية إلى أقسام يشتمل كل منها بيتاً واحداً إلى سبعة أبيات ثم أورد شرحه ذيل كل قسم، وأما شرح السيوطي فيعدّ من الشروح المزجية فمزج الشارح فيه شرحه بنص الألفية يعني أنه جعل الأبيات بين القوسين وأورد شرحه بين قطعات الأبيات بحيث لا يمكن تمييز النص من الشرح إن حذف القوسان؛ والنصف الأول من الشرحين أطول من النصف الثاني، ويعدّ كلا الشرحين من الشروح التعليمية.

• لم يأت ابن عقيل بمقدمة ولا بشرح على أبيات المقدمة للألفية ولم يجعل لشرحه اسماً، وهذا ما فعله في خاتمة الكتاب فلم يشرح أبيات الخاتمة ولم يختم الشرح بخاتمة كأن معظمهم لا يتجاوز شرح الأبيات المتصلة بعلمي الصرف والنحو. أما السيوطي بخلاف ذلك فقد قدّم لشرحه وسماه البهجة المرضية وشرح أبيات المقدمة للألفية كما شرح أبيات الخاتمة ثم أتى بخاتمة للشرح، وفي كلتا المقدمة والخاتمة أشاد بمجده وتأليفه.

• إن تسمية الأبواب وترتيبها في الشرحين حسب وضعها في الألفية إلا أن السيوطي قد يزيد عليها بعض توضيحات وقد يرجّح تسمية على أخرى، وقد يذكر الشارحان تسمية أخرى للأبواب، أو وجه التسمية للأبواب، أو سبب وضعها؛ وقد يقيس السيوطي ترتيب الأبواب في الألفية مع الكتب الأخرى.

• وفي بداية الشرح للأبيات سلك الشارحان مسلكاً واحداً وهو إما مباشراً، وإما منبّهاً على تغيير مسار البحث، وإما مستدركا ما لم يذكره الناظم من تعريف أو وجه تسمية أو غيره.

• ومن أهم أسباب اهتمام مدرسي الحوزات والجامعات بالشرحين خاصة في بلادنا إيران هو منهجهما التعليمي الرقيق الذي يهدي الطالب إلى فهم تام للمسائل الصرفية والنحوية، وإقبال مدرسي الحوزات للبهجة المرضية أكثر من إقبال مدرسي الجامعات وربما السبب فيه توفر الكلمات والمصطلحات المتصلة بعلم المنطق فيها.

• ولنا أن نقول في منهجهما التعليمي إن ابن عقيل يُعطي مُوجزاً من مضمون البيت ثم يشرحه ويفصّل ويأتي بالأمثلة وقد ينسب هذا الموجز إلى ابن مالك ربما السبب فيه تضمّن هذا الموجز معنى البيت، والسيوطي يختصر شرحه للبيت ويأتي بالأمثلة وإن نقارن أمثلة الشرحين — سوى الشواهد —

نرى اهتمام ابن عقيل بذكرها — لتقريب القاعدة من ذهن الطالب — أكثر من السيوطي لأن شرح الأبيات دون ذكر الأمثلة عند السيوطي أكثر منه عند ابن عقيل.

● ومن ميزات المنهج التعليمي في الشرحين استدراك ما لم يذكره الناظم من الأمثلة، وتعليل قاعدة فعلياً في هذين على السواء، وفي تكميل الشروط والوجوه والأقسام فأوسع ابن عقيل فيه وسعى في إحصاءها بذكر الأعداد وهذا أقرب إلى الذهن، ومما أكثره شارحان هو استدراك ما لم يذكره الناظم من القواعد، أما السيوطي فكثيراً ما يستند إلى الكتب والأقوال المختلفة لهذا المقصود، ويقسم شرحه إلى أقسام ويتبعها بموامش وهي «تتمة»، و«فصل»، و«فرع»، و«تنبيه»، و«حاشية»، و«قاعدة»، و«ضابطة»، و«فائدة»؛ ويورد أيضاً بعض استدراكاته ذيل هذه الأقسام إلا أنه ينبّه عند ما يسميه بـ «فصل» على فرع جديد من القاعدة.

● ومن أساليبيهما التعليمية الأخرى بيان إشارات النص — وهو بيان قصد الناظم بعباراته — فلم يغفل الشارحان عنه، وعدد تنبيهات ابن عقيل عليه أكثر من السيوطي، وربما يرجع السبب إلى نوع الشرحين. ومن أحسن ما يوجد في الشرحين ويعين الطالب على وعي القصد وفهمه هو تعليل ما عمله الناظم من تأخير وتقديم، واختيار طرق بيان مراده، والشارحان كلاهما متساويان وربما جاء السيوطي بنماذج أكثر مما جاء بها ابن عقيل.

● ومن ميزات طريقة التعليم الخاصة لشرح ابن عقيل هي ذكر النتيجة لبعض الأبيات ولم نجد نموذجاً منها في البهجة المرضية.

● ومما يقل ذكره في الشرحين هو بيان إعراب أبيات الألفية ويبدو أن السيوطي قد اهتم بها أكثر من ابن عقيل، وإعراب الشواهد والأمثال في الشرحين أكثر من إعراب أبيات الألفية، وبيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لأجزاء كلام المصنف أكثر من هذين.

● لم يُشرِ الشارحان إلى المسائل العروضية للأبيات الألفية، وفي بعض الأحيان يذكر السيوطي الدقائق القرائية للأبيات وفي موضع نبّه على مسألة بلاغية ولم يوجد هذان الأمران في شرح ابن عقيل؛ وقليلاً ما نبّه الشارحان على رواية الأبيات، واختلفت روايتهما في قليل من الأبيات.

● اختص قسم وسيع من الشرحين لبيان الآراء النحوية، واهتم السيوطي طوال شرحه بانتساب الأقوال إلى قائلها.

● وفي الغالب يأتي الشارحان بآراء ابن مالك والنحاة الآخرين لبيانها دون النظر إلى غيرها، أو بجانب الآراء الأخرى دون الانحياز إلى أحدها؛ وأما في قبول أو ردّ الآراء فسلوكا مسلكين متباينين، فيستمعن ابن عقيل في الآراء ولا يمنعه شيء عن بيان رأيه من القبول أو الردّ، وأما السيوطي ففي الغالب يستند إلى أقوال الآخرين ردّاً أو قبولاً وقد بيّن رأيه وكثيراً ما يأتي برأي آخر للمصنف في أحد كتبه بجانب رأيه في الألفية إما دون الانحياز إلى أحدهما، وإما مرجحاً أحدهما على الآخر. ولذا نرى ملاحظات

ابن عقيل على المصنف والآخرين أكثر من ملاحظات السيوطي عليهم وإن قارنا بعض مخالفات ابن عقيل للمصنف مع موقف السيوطي الموافق من ذلك الرأي نجد أن السبب فيه هو تباين استنباطيهما من كلام المصنف أو تصحيح واستدراك السيوطي لخطأ المصنف دون التذكير بخطئه.

● وجاء كلاهما في مواضع من شرحيهما ببعض ملاحظات ابن الناظم على أبيه في شرحه على الألفية ودافعا عن ابن مالك إلا أن السيوطي استند أيضاً إلى قول الآخرين في ذلك، وهناك موضع لا يخالف السيوطي ابن المصنف كأنه يريد الاعتراض على المصنف عبر قول ولده.

● لم يذكر ابن عقيل في الغالب اسم الكتب التي استفاد منها ويكتفي بعبارات من مثل «في أحد كتبه»، و«في غير هذا الكتاب» و«في بعض كتبه»، بخلاف السيوطي.

● ومن خلال آرائهما طوال شرحيهما يتضح موقفهما من القياس والسماع، فلا يقيسان بما هو شاذ أو مقصور على السماع كما فعل الكوفيون، فمذهبهما قريب من مذهب البصريين ومن مذهب ابن مالك.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله بن عبد الرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محقق محمد محيي الدين عبد الحميد، ٢ ج، تهران: استقلال، ١٣٨١ هـ.ش.
٣. أبوطالب اصفهاني، تعليقة رشيقة على البهجة المرضية، [بى جا]، ١٣٨٢ هـ.ق.
٤. الأسعد، عبدالكريم محمد، الوسيط في تاريخ النحو العربي، الرياض: دار الشواف، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م.
٥. الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، ضبط وتشكيل وتصحيح يوسف الشيخ محمد البقاعي، ٢ ج، إشراف مكتب البحوث والدراسات بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م.
٦. زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٣-٢ من المؤلفات الكاملة ٢١ ج. بيروت: دار الجليل، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م.
٧. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ٢، ٢ ج، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م.
٨. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، البهجة المرضية لجلال الدين السيوطي على ألفية ابن مالك، السيد علي الحسيني، ج ٣، قم: دار الفكر، ١٣٨٦ هـ.ش.
٩. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، شرح السيوطي توضيحات للبهجة المرضية في شرح الألفية، تأليف السيد صادق الشيرازي، ط ٢، ٢ ج، قم: دار الإیمان للطباعة، ١٣٦٨ هـ.ش = ١٤٠٩ هـ.ق.
١٠. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، حققه وقدم له دكتور سلمان القضاة، ٣ ج، بيروت: دار الجليل، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م.
١١. الشريف، محمد باقر، جامع الشواهد. ٣ ج در يك مجلد، إصبعان: مؤسسة المطبوعات

- الأدبية، الناشر الحاج سيد محمود المير الهندي، ١٤١٢هـ.
١٢. ولد أباه، محمد المختار، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، مراجعة محمد توفيق أبو علي ونعيم علوية، بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.
١٣. بناء يزدي، علي أكبر عبدالكريم، شرح وترجمه سيوطي در نحو، د.م، مرتضوي، د.ت.
١٤. حجت هاشمی خراسانی، علی، فوائد الحججیة شرح کتاب سیوطی، ٢ ج، قم: حاذق، ١٣٧٠هـ.ش.
١٥. دهخدا، علی اکبر، لغت نامه، ٤٤ ج، تهران: چاپخانه مجلس، ١٣٢٥هـ.ش.
١٦. منفرد، نقی، الطريقة النقية شرح النهجة المرضية، قم: حوزه علمية، دفتر تبلیغات اسلامی، ١٣٧٥هـ.ش.
١٧. نوری، محمد، مأخذ شناسی نظام تعلیم و تربیت روحانیت؛ (مرکز مطالعات و تحقیقات اسلامی)، قم: دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم، ١٣٧٦هـ.ش. (ج) الموقع الإلكتروني
١٨. پایگاه اطلاع رسانی سراسری اسلامی (پارسا). فصل نامه کتابهای اسلامی.
- <http://www.i-b-q.com/far/biblio/02.htm>